مجلة ميلاف للبحوث والدراسات
المجلد 8 العدد 2 / ديسمبر 2022
ص ص 90 –96

اللغة واللهجة بين القديم والحديث

Language and Dialect between Modern and Ancient

بوعام نجاة
المركز الجامعي علي كافي تندوف (الجزائر) Bouamnadjat37@gmail.com

الاستلام: 2022/07/04 القبول: 2022/12/25 النشر: 2022/12/31

ملخص:

اختلف اللغويون العرب القدماء منهم والمحدثون في تحديد وضبط مفهوم اللغة واللهجة والاختلاف الموجود بينهما؟، وكيف نشأت الفصحى؟، ومن خلال هذا البحث سوف أعرض هذه النقاط بشيء من التفصيل ، لنصل إلى نتيجة مفادها أن اللغويين قديما رغم الخدمات الجليلة التي قدموها للحفاظ على اللغة العربية وضبطها، إلا أنهم أهملوا كل اللهجات ولم يصل إلينا منها سوى إشارات وعبارات متفرقة في كتب اللغة والأدب والتاريخ، الأمر الذي يجعل من دراستها أمرا مستحيلا، بحكم طبيعة اللهجة المتغيرة من زمن لآخر، على خلاف علماء اللغة المحدثين الذين عرفوا أهمية اللهجات في ميدان الدرس اللغوي، وفائدتها في فهم طبيعة الفصحى، فأقبلوا على دراستها لمعرفة الخصائص المشتركة بينها وبين الفصحى.

الكلمات المفتاحية : اللغة . اللهجة ـ العامية ـ الدّرس اللغوي.

Abstract :

The ancient and modern Arab linguists differed in defining and adjusting the concept of language and dialect and the difference between them?, and how did the classical arise?, and through this research I will present these points in some detail, to reach the conclusion that linguists are old despite the great services they have provided to preserve and control the Arabic language, but they neglected all dialects and only received various references and phrases in the books of language, literature and history, which makes it impossible to study them, by virtue of their study. The changing nature of the dialect from time to time, unlike modern linguists who knew the importance of dialects in the field of linguistic lesson, and their usefulness in understanding the nature of classical, they accepted to study them to know the characteristics common to them and the classical.

Keywords: Language - The accent - slang - Language lesson

.

1.مقدمة:

من الأمور المسلم بها في أي نظام لغوي أنه بمرور الزمن وكثرة الاستعمال يتفرع إلى لهجات مختلفة، الأمر الذي يؤدي إلى انتقال عدة صفات لغوية بين اللهجات ولغاتها على كل المستويات، واللغة العربية كأي نظام لغوي وقعت في هذا الانقسام، فنجد أحيانا صور مختلفة للظاهرة الواحدة، فظهرت الدراسات اللغوية الحديثة وتعددت في المشرق والمغرب، ومن أبرزها على مستوى الوطني (الجزائر) نجد الدراسات التي

قدمها عبد الجليل مرتاض وغيره من أصحاب الاختصاص في هذا المجال، وأهمية هذا الدرس تكمن فهم اللهجات، وإزاحة اللبس وشرح الاختلاف الموجود فيما بينها معتمدة في ذلك على عدة مناهج أهمها: التاريخي الذي يساعد في تتبع الظواهر لفهم التغيرات التي طرأت عليها، والوصفي الذي يساعد في فهم الخصائص والمميزات اللغوية في أي نظام لغوي، وغيرهما من المناهج الأخرى التي لا يتسع المجال لسردها، وقد كان البحث إجابة عن الإشكال المطروح: ما هو سبب تعدد اللهجات في اللغة الواحدة؟ وهل اللغة أصلها لهجة؟ وكيف تميزت بالثبات عن اللهجة؟. كما قسمت هذا البحث إلى ثلاثة أقسام، القسم الأول للتحديد المفاهيم والعلاقة بين اللغة واللهجة وأهم الصفات التي تتميز بها اللهجة، والقسم الثاني نعرض فيه اللهجة عند العرب القدامى والقسم الثالث اللهجات عند المحدثين.

2.تحديد المفاهيم:

1.2اللغة:

ذكر بن فارس في تصريف اللغة " أنها لغا بالأمر، إذا لهج به (أبي الحسن، 2008، صفحة 25)، وقال ابن جني: وأما تصريفها ومعرفة حروفها، فإنها من لغوت، أي تكلمت، وقال الزمخشري لغوت بكذا، لفظت به وتكلمت (الزمخشري، 2000).

أما اصطلاحا: فقد عرفها ابن جني بأنها" أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" فهي وسيلة صوتية يعبر بها الانسان عن رغباته، تألف في كلمات والكلمات في جمل، لتعبر عن المعنى المراد في ذهن المتكلم.

2.2 .اللهجة:

ورد في تصريفها اشتقاقان، الأول: لهج بالأمر لهجا ولهوجا، وألهج كلاهما أولع به واعتاده، واللهج بالشيء: الولوع به (منظور). الثاني: أنها مشتقة من لهج الفصيل بأمه، إذا عتاد رضاعها، فهو فصيل لاهج (ابراهيم، 1972، صفحة 10).

وفي الاصطلاح هي" تكلم جهوي متغير، تختلف مميزاته الصوتية والفونولوجية وكذا خصوصياته اللكسيكية، ونادرا المورفوسانتكسية (علم تركيب البنى) عن اللغة المهيمنة، وهذا التغير عموما ليس مختلفا إلى درجة انعدام التفاهم بين متكلمين لا يتكلمون إلا هذه اللهجة الجهوية، وبين آخرين لا يتكلمون إلا اللغة الوطنية أو لجهة أخرى من نفس اللغة، فاللهجة تعتبر كشكل مجرد من رتبة اللغة، وحتى هذه الأخيرة، في حقيقة أمرها، ليست إلا تغيرا متحدرا من نفس الأرومة، ولأسباب تاريخية وسوسيوثقافية، رقيت لتصبح لغة رسمية" (عبد الجليل، 2000، صفحة 23).

3.2.علاقة اللهجة باللغة والمنطوق:

لقد أجمع الباحثون أن مرحلة الكلام عند الإنسان جدّ متأخرة بالنظر إلى مراحل تطوره، وهم يرجحون أنّ الإنسان الأول اجتهد في النطق، الذي كان مجرد مصادفة، وقد نمّت فيه قوة السمع قبل النطق، فسمع الأصوات الطبيعية دون أن يقلدها، لأن ذلك كان يتطلب منه قدرة عقليه عجز المحدثون أن يتصوروها ، والأهم من ذلك كله أن هذا المخلوق تمكن من تجاوز الصعوبات التي واجهته، وحاول بكل ما يملك من إصدار أصوات، فكان له ما أراد (إبراهيم، 1975، صفحة 11) إلى أن نشأت لغات

مختلفة حكمت عليها العوامل المختلفة بالتشعب والتطور، وأخرى بالموت والفناء.

وقد كانت العربية لغة مهيمنة لما امتدت الدولة الإسلامية شرقا وغربا، وامتزجت باللغات الأعجمية فاختلطت الألسن وفقدت حركات الإعراب في أواخر الكلم كتلك التي عاصرها ابن خلدون، فقد ابتعدت لغة عصره عن لغة مضر حتى انقلبت إلى أخرى مغايرة، لكنها ظلت قادرة على تحقيق التواصل والتعبير عن المقاصد ويقول في ذلك "لعلنا لو اعتنينا بهذا اللّسان العربي لهذا العهد واستقرينا أحكامه، نعتاض عن الحركات الإعرابية التي فسدت دلالتها بأمور أخرى موجودة فيه تكون بها قوانين تخصها .ولعلها تكون في أواخره على غير المنهاج الأول في لغة مضر، فليست اللغات وملكاتها مجانا" (عبد الرحمان، 1983، صفحة 725).

ويقول عبد الصبور شاهين:" أن الجانب المنطوق في اللغة يمارس بحرية أكبر، لهذا ينفصل الصوت عن صورته، ويتطور دونه، وعليه فإن تطور أي لغة من اللغات مرهون بتطور جانبها الصّوتي على وجه الخصوص" (عبد الصبور، 1980، صفحة 10).

وما خضع له العالم العربي من اندماج واختلاط مع الشعوب الأخرى بفعل الحروب والسيطرة، والحماية والوصاية من طرف الدول الغربية، نتج عنه رصيد كبير من المفردات والتعابير ظلت إلى يومنا هذا حاضرة في كلام هذه الشعوب، فاللهجة التي كانت مجرد سلوك سلبي لانحراف اللغة، أصبحت لها صلة بالرقي الاجتماعي والسلوك الفردي فهي قوة اجتماعية تتوسع بعمق في كل المجالات.

وإذا كانت اللغة مجموعة أصوات تؤدي دورا وظيفيا في التعبير بواسطة جهاز صوتي عن حاجة الناس ،فهي تختلف في دورها الغائي باختلاف الأقوام (رياض، 1982، صفحة 112)، وهي أيضا " قدرة ذهنية مكتسبة يمثلها نسق يتكون من رموز اعتباطية منطوقة يتواصل بها أفراد مجتمع ما" (مصطفى، 1991، صفحة 36).

وتتلخص اللغة عند أغلب اللغويين في الصفتين التاليتين:

1.المستوى اللغوي الأرقى من مستوى الخطاب، واستقر أمرها على قواعد ونظم لا تسمح لها بالتغيير أو التطور إلا قليلا.

2.اللغة المشتركة، وإن تأسست في بدء نشأتها على لهجة منطقة معينة، قد فقدت مع الزمن، أو نسي المتكلمون في أثناء استعمالها كل المنابع التي استحدثت منها عناصرها، وأصبح لها كيان مستقل وسبق أن فرق ابن خلدون بين ثلاثة أنواع من اللغات، لغة مضر: ويعني بها اللغة الفصحى القديمة، وثانيها: لغة أهل الجيل ويعني بها اللغة الأدبية في زمانه، أما النوع الثالث: فهو اللغات التي تختلف من إقليم إلى آخر (أحمد، 2009/2008، الصفحات 14 - 15).

ومن القوانين الطبيعية التي تخضع لها أي لغة إنسانية أنها متى انتشرت استحال على متحدثيها الاحتفاظ بوحدتها الأولى زمنا طويلا، الأمر الذي يفرض عليها التشعب والانقسام إلى لهجات عدة، فقد وضح إبراهيم أنيس ذلك في قوله: " لقد ضمت شبه الجزيرة العربية على لهجات محلية كثيرة، انعزل بعضها عن بعض، واستقل كل منها بصفات خاصة، ثم كانت تلك الظروف التي هيأت بيئة معينة فرصة ظهور لهجة معينة،

وازدهارها والتغلب على اللهجات الأخرى، ثم تفرعها إلى لهجات موازية لها في الاستخدام" (إبراهيم، مستقبل اللغة العربية المشتركة، 1956، صفحة 8).

والعلاقة التي يمكن رصدها بين اللغة واللهجة والعامية والمنطوق، هي علاقة العام بالخاص، فالفرد الناطق أشدّ ولعا بتكلم أو أداء معين تعوده منه بتكلم عام يشترك فيه مع غيره، وكما يلزم الفصيل ثدي أمه، إذا لهج به، كذلك كل ناطق يلزم ما اعتاده من لهجة وانحاء في الكلام (عبد الجليل، 2000، صفحة 16).

والفرق بين اللهجة والعامية أو الدارجة حاصل في أن للهجة صفات صوتية تتصف بها لغة منطقة من المناطق، في حين أن العامية لغة ثانية غير مستقرة القواعد، وليس من منطقها، ولا من طبيعتها أن تكون لها قاعدة ثابتة وهي خليط يستعملها كل المنتمين إليها من شتى الطبقات الاجتماعية.

وبين اللغة والمنطوق، هو أن الإنسان لا يملك عضوا مختصا بالكلام وحده، وما نسميه بأعضاء النطق أو الكلام قد تعدت وظيفته لهذا الغرض في فترة متأخرة من حياته، أما وظيفته الأساسية فهي حفظ حياة الإنسان، ولكن الضرورة الاجتماعية إضافة إلى الذكاء الإنساني خلقا وظيفة ثانوية لهذا الجهاز، وهي وظيفة النطق. والمنطوق والمكتوب هما لكل لغة من لغات العالم، والجانب المنطوق يمارس بحرية أكثر من جانبها المكتوب، لأن الكتابة تعجز بطبيعتها عن تسجيل جملة من الظواهر والوظائف النطقية العامة كالنبر والتنغيم وحالات الاستفهام والتعجب، والنفي والإنكار والتحسر، فهي وظائف ذات دلالة مباشرة في الحدث اللغوي، فاللغة المنطوقة تظهر فيها خصائص طريقة النطق الخاصة بالمتكلم، والأداء هو فن النطق (أحمد، 2009/2008، صفحة 17).

3.اللهجة عند العرب القدامى:

من المعروف عن العرب قديما أنّ القبائل كانت متفرقة الأمر الذي جعل لكل قبيلة كيانها واستقلاليتها وتميزها عن أي قبيلة أخرى، وقد يكون هذا هو السبب الرئيسي لنشأت اللهجات العربية القديمة ، إذ كانت كل قبيلة متمسكة بصفاتها الكلامية في حديثها العادي، ولكنّ الخاصّة من الناس (الشعراء والحكماء) كانت لهم لغة مشتركة لاستعمالها في الخطابات ونظم الشعر، حتى إذا عادوا إلى قومهم حدثوهم بمثل حديثهم، الأمر الذي يبين أن اللهجات كانت عندهم تقتصر على الحياة العامة والتفاهم بين أفراد القبيلة، فإذا انتقل الفرد لمحيط اختلطت فيه بقبائل أخرى، أو موقف جاد كنظم الشعر وأمور التجارة، فإنه يلجأ للغة المشتركة التي يفهمها كل العرب، فكان إتقان اللغة موضع فخر بين رؤساء القبائل والخاصة من الناس، وبمجيء عهد التدوين برزوا علماء أجلاء أخلصوا للغة، وقدموا لها خدمات جليلة من أجل جمعها من المصادر الموثوقة والوقوف على أسرارها، ومحاولة ضبطها وتقعيدها، وبذلوا في سبيل ذلك جهودا جبارة متواصلة، وقد أخذوا مادتهم اللغوية عن طريقين الأول: الرحلة إلى البادية والاستماع إلى أهلها الذين سلمت ألسنتهم من اللّحن لعدم اختلاطهم بالأعاجم، والثانية الأعراب الذين عدوهم فصحاء، الذين كانوا يفدون إلى البصرة والكوفة، فانصبت هذه

الجهود من أجل إنشاء لغة واحدة يفهمها القاصي والداني. وفي خضم هذا أهملت اللهجات وتجاهلها العلماء، ولم يرد الحديث عنها إلا في قليل من كتب اللغة والأدب والتاريخ. كما اعتمدوا منهج في الأخذ من القبائل وهو كالتالي:

1.القبائل التي أخذ عنها في الإعراب والتصريف والغريب: قيس، وتميم، أسد، بعض كنانة، بعض الطائيين.

2.القبائل التي لم يأخذ عنها: كل حضري، كل ساكن البراري المجاورين لسائر الأمم الذين حولهم، لخم وجذام لمجاوتهم أهل مصر والقبط، قضاعة ،غسان وإياد لمتاخمتهم أهل الشام، ولأن أكثرهم نصارى و يقرؤون بالعبرية، تغلب لمجاورتهم جزيرة اليونان، بكر لمجاورتهم أهل القبط والفرس، اليمن لمخالطتهم الهند والحبشة،عبد قيس وأزد عمان، لأن هؤلاء كانو بالبحرين مخالطين الهند والفرس، بالإضافة إلى بني حنيفة وسكان اليمامة وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم (محمد بن يزيد، 1956، صفحة 113).

وبهذا فقد سقطت الكثير من اللهجات التي امتزجت بالألسن الأخرى، واعتمدوا أمرين أساسين في فصاحة القبائل، الأول قرب مسكنها من مكة المكرمة وما حولها، وبعدها عن أطراف الجزيرة العربية ومخالطة الأمم الأخرى. والأمر الثاني متعلق بمقدار توغلها في البداوة.

وهذا المنهج أدى إلى تقسيم القبائل العربية إلى فصيحة وأخرى غير فصيحة، إلى أن حاول عدد من علماء اللغة وضع موازنة عقلية بين اللهجات العربية فوجدناهم يقررون أن هذه اللغة أقيس من تلك لوجود العلة الفلانية بها، كما وجد في كتبهم بعض الأوصاف للهجات العربية كقولهم: لغة رديئة، ولغة جيدة، ولغة سيئة، ولغة شاذة... إلى غير ذلك. والمعروف أن اللهجة فصيحة إذا أدت للتفاهم والاتصال بين أبنائها لكنهم أطلقوا تلك الأوصاف بالنظر إلى بعد اللهجة أو قربها من القرآن الكريم ولغة قريش.

4.**مفهوم اللهجة عند علماء اللغة المحدثين:**

حيث عرفوها أنها مجموعة الخصائص اللغوية التي يتحدث بها عدد من الأفراد في بيئة جغرافية معينة، وتكون تلك الخصائص على مختلف المستويات اللغوية، وتتميز عن بقية اللهجات الأخرى في اللغة الواحدة، ولكن يجب أن لا تطغى هذه الخصائص حتى لا تصبح هذه اللهجة غربية وسط أخواتها، فهي إن كثرت على مرّ الزمن أصبحت لغة قائمة بذاتها، كما حدث للغة اللاتينية التي اندثرت وتفرعت عنها لغات أخرى(الايطالية والفرنسية والاسبانية) وكما حدث للغة السامية الأم التي استقلت عنها العربية والعبرية والآرمية وغيرها (عبد الصبور، علم اللغة العام، 1980، صفحة 225).

وبنية اللهجة جزء من بنية أوسع وأشمل تضم عدة لهجات، لكل منها خصائصها المميزة، ويربط بينها جميعا مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات فبعضهم ببعض، وفهم ما قد يدور من حديث. وتلك البيئة الأوسع والتي تشمل عدة لهجات هي ما يصطلح على تسميتها اللغة.

وعندما تتعدد اللهجات في مجال لغوي واحد، يصعب وضع حدود لهجية بينها، لكن ذلك لا يعني بحال من الأحوال أن اللهجات لا تعرف

الحدود مطلقا؛ لأن لكل لهجة مجموعة من الصفات المشتركة التي تميز بينها وبين جارتها، ومن حقنا أن نتكلم عن وجود لهجات كلما لاحظنا عددا كبيرا من الخطوط التي تفصل بين الخصائص ولو بشكل تقريبي، وعندما لا يمكن رسم خطوط دقيقة بين منطقتين متجاورتين فإنه تبقى أن لكل منهما مجموعة من السمات العامة التي لا توجد في الأخرى، فالتقسيم اللهجي يرجع إلى إحساس حقيقي لدى سكان الإقليم الواحد، إحساس بأنهم يتكلمون بصورة ما ليست هي الصورة التي يسير عليها سكان الإقليم المجاور .

وكانت بداية دراسة اللهجات العربية على يدي المستشرقين الذين قدموا إلى العالم العربي للبحث في أحواله وثقافته منذ القرن التاسع عشر، فكانت في مجملها أعمال متواضعة تقوم على جمع المادة ودراستها بطريقة تقليدية، لكنها لم تلبث أن تطورت واشتد عودها بفضل تقدم الدراسات اللغوية المعاصرة في الغرب واستفادتها من الاختراعات الحديثة والمختبرات في ميدان البحث اللغوي (جونستون، 1973، صفحة 12).

وبفضل هذه النقلة في الدراسات اللغوية اهتم الكثير من الباحثين العرب بهذا المجال وانكبوا على دراسة اللهجات العربية في أنحاء العالم العربي، كما ساهمت المجامع اللغوية العربية في كل من القاهرة ودمشق وبغداد بتشجيع الأبحاث والدراسات في هذا المجال.

وفي اعتقاد علماء اللغة أن فهم اللهجة يساعد في اللغة ومراحل نشوئها وتطورها وبيان تاريخها (إبراهيم، الأصوات اللغوية، 1975، الصفحات 12-13).

5. خاتمة:

وفي الأخير نصل إلى أنّ الدرس اللغوي قديما كان يهدف للحفاظ على اللغة وضبط قواعدها التي تحميها من التحريف والتغريب، وعكفوا على ذلك بالتأصيل والضبط والتأسيس فأنتجوا لنا أمهات الكتب في النحو والصرف والبلاغة والمعاني والمعاجم باختلاف أنواعها، وأهملت اللهجات حتى لا تأثر على الفصحى فيلتبس الأمر وتتعدد القواعد ويختلف الدرس اللغوي في شرح الظواهر اللغوية، ومع كل ذلك وجدت بعض الإشارات التي تثبت وجود لهجات مختلفة، في حين اهتم الدرس اللغوي الحديث باللغات واللهجات وكل منطوق دون وضع وزن للفروق أو مفاضلة بين اللغة واللهجة ودراستها وفق منهج وصفي يبحث في الظواهر اللغوية دون إصدار أي حكم عليها فيما يجب أن تكون، وبهذا فالدرس اللغوي الحديث غايته معرفة الخصائص والظواهر اللغوية كما هي، وتمييز ما طرأ عليها من تغيرات لفهم اللغة في حد ذاتها ، ومن هنا تبقى العلاقة بين اللغة واللهجة هي علاقة تمثيل، فاللهجة تمثل اللغة من خلال استعمالها بما يتناسب مع الاستخدام الفردي للأشخاص أثناء عملية التواصل بعيدا عن القواعد التي تتحكم في اللغة ووفق ما يجده المتحدث مناسبا ووفق ما اعتاد لسانه.

6.قائمة المراجع:

-ابن منظور. لسان العرب. دار المعارف: القاهرة.
-ابن فارس أبي الحسن. (2008). مقاييس اللغة. دار الحديث: القاهرة.

-الزمخشري. (2000). أساس البلاغة. دار الفكر: القاهرة.

-المبرد محمد بن يزيد. (1956). 1956م، الفاضل، تح: عبد الغزيز الميمي. القاهرة: دار الكتب.

-أنيس إبراهيم. (1975). الأصوات اللغوية. القاهرة: الأنجلو المصرية.

-أنيس إبراهيم. (1956). مستقبل اللغة العربية المشتركة. القاهرة.

-جونستون. (1973). دراسات في لهجات شرقي الجزية العربية ترجمة أحمد الضبيب. الدار العربية للموسوعات.

-شاهين عبد الصبور. (1980). المنهج الصوتي للبيئة العربية. بيروت: مؤسسة الرسالة.

-شاهين عبد الصبور. (1980). علم اللغة العام. القاهرة: مؤسسة الرسالة.

-صادق العدوي مصطفى. (1991). وحي القلم. الجزائر.

-قاسم رياض. (1982). اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم العربي. بيروت: مؤسسة نوفل.

-قريش أحمد. (2009/2008). دراسة لسانية دلالية للهجة توات (أطروحة دكتوراه). تلمسان، كلية الآداب واللغات، تلمسان: جامعة أبي بكر بلقايد.

-محمد بن خلدون عبد الرحمان. (1983). العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. لبنان: دار الكتاب اللبناني.

-مرتاض عبد الجليل. (2000). اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي. الجزائر: دار هومة.

-نجا ابراهيم. (1972). اللهجات العربية. مطبعة السعادة.